
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

تفاصيل دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى

أ.م.د. حميد عبد حمادي الدليمي
وزارة التربية

المقدمة:

لا شك أن نشأة الدولة العثمانية عام ١٢٩٩م لا تزال تثير جدلا ونقاشا بين المؤرخين المختصين بالتاريخ العثماني، كما وان الفترة ما بين سقوط الدولة العثمانية واعلان الجمهورية التركية، عدُ من المشاكل المهمة بالنسبة للمؤرخين لما لهذه الفترة من تداعيات وما خلفته من تأثيرات لم تقتصر على الجمهورية التركية فحسب، بل شملت مناطق اخرى من قارتي اسيا وافريقيا، اضافة الى ما احدثته من تطورات في القارة الاوربية، وعلى مدى سبعمائة عام تقريبا كان من الطبيعي ان تنال الدولة العثمانية اهتمام الباحثين، وذلك بسبب اتساع رقعتها الجغرافية التي كانت تمتد الى ثلاث قارات هي اسيا وافريقيا واوربا، اضافة الى تدخل جميع الدول الاوربية الكبرى تقريبا في شوؤنها الداخلية والخارجية وخاصة خلال القرون الثلاثة الاخيرة من عمر الدولة العثمانية(١).

على اي حال فقد استندت في هذا البحث الى عاملين لم يحل اختلافها دون تلاقيها وتشابكهما في كثير من الاحيان، وهما المنافسة التي نشبت بين الدول الكبرى واوقعت الانسانية في حرب عظمى، ورغبة الشعوب المستعبدة في رفع نير السيطرة الاجنبية، لذلك أردت ان اسلط الضوء على دخول الدولة العثمانية الحرب العظمى وما رافقها من احداث كان نتيجتها ان خرجت صفر اليدين من هذه الحرب التي كان يمكن لها ان تكون على الحياد، لكن الظروف الدولية دفعتها الى هذا المصير، فكانت مصالح كل دول اوربا تقريبا قد تعارضت في بقية اجزاء الامبراطورية العثمانية لذلك كانت متأهبة للوثوب بنفسها في أتون حرب جديدة ففعلت ذلك وعادت عليها وعلى سائر بلاد الشرق الاوسط بعواقب لا تعد ولا تحصى......

لمحة تاريخية

لقد بدأت الدولة العثمانية منذ القرن السابع عشر تواجه مشاكل كثيرة في بنائها الاداري والاقتصادي والعسكري، وبالمقابل كانت اوربا تخطو خطوات كثيرة في كافة المجالات العلمية والتكنلوجية والاقتصادية، اضافة الى تطورها في المجال العسكري والبحري، لذلك لم

تستطع الدولة العثمانية ان تواكب هذا التطور السريع واستيعاب التغيرات الدولية الجديدة، فبدات تتلقى هزائم عسكرية واحدة تلوا الاخرى، وقد اضطرت الى توقيع معاهدات مهينة، منها كارلوفتيز carlowitz عام ١٦٨٩ م والتي سَلمت بها المجر الى النمسا، ومعاهدة بساروفتيز passarowitz عام ١٧١٨م التي فقدت بها جزء مهما في البلقان، ومعاهدة كوجك كينارجي التي اعقبت هزيمتها امام روسيا في ١٧٧٤/٧/١٠م والتي ادت الى تفكك الدولة العثمانية وتصفية ممتلكاتها في اوربا(٢)، ومعاهدة ياسي التي عقدت على اثر حرب مع روسيا استمرت خمس سنوات انتهت عام ١٧٩٢م التي ضمت روسيا فيها القرم(٣)، ومعاهدة ادرنه andrinople عام ١٨٢٩م التي وضعت الدولة العثمانية تحت اقدام نيقولا الاول وارغمتها على استقلال اليونان، ومنح الاستقلال الذاتي لولايات الدانوب، واعطاء روسيا امتيازات في بلاد الشركس وفتح المضايق العثمانية امام السفن التجارية(٤)، كذلك تبين ضعفها بصورة واضحة عندما لم تستطع مواجهة الغزو الفرنسي لمصر وفلسطين ١٨٠١/١٧٩٨، وبالتالي ظهرت علامات الانحطاط في تدهور النظام الاقتصادي وفساد الادارة الحكومية سيما تدخل النساء في ادارة امور الدولة مما تسبب باستمرار الانتفاضات في معظم ولايات الدولة العثمانية(٥).

لقد كان الخلاف الخاص بين النمسا والصرب من اسباب قيام الحرب العالمية الاولى التي جرفت في تيارها اكثر دول العالم من شرقها وغربها، واحرقت ملايين الناس بنيرانها وشرورها، وغيرت خارطة العالم تبعا لسطوة المنتصر وتنفيذا لارادته، وعندما اندلعت الحرب كان الموقف لايزال غامضا عند اكثر الدول البلقانية التي كانت مشاكلها تعتبر احد الاسباب لقيام الحرب العالمية الاولى، سيما وان الحرب البلقانية الاولى والثانية قد اضعفت هذه الدول وزادت من شقة الخلاف بينهما(٦)، وفي ٢٩ حزيران ١٩١٣م هجم البلغاريون على صربيا واليونان بدون سابق انذار، لكن الخطة فشلت فشلا ذريعا بعد ان صمدت كل من اليونان وصربيا صموداً كبيرا ودخلت رومانيا الحرب معهم بعد ان كانت على الحياد، وذلك لتستولي على دروبرجا واسترجعت الدولة العثمانية ادريانبول، ومن حسن حظ الصرب انها خرجت من هذه الحرب بالحصة الكبرى، وحصلت اليونان على قسم من الاراضي ايضا. أما بلغاريا التي كانت اقوى دول البلقان واكثرها نشاطا في مختلف المعارك التي وقعت بينهما وبين الدولة العثمانية، فقد خرجت خاسرة لم تربح شيئا بل فقدت قسم من اراضيها بسبب طمعها وسوء

سياستها، لذلك كانت غاضبة وناقمة وتتحين الفرص للانتقام من جاراتها التي اغتصبت حقها وانتزعت اراضيها[٧].

وعندما اندحرت بلغاريا انتهز العثمانيون هذه الفرصة وتمكنوا من احتلال تراقيا وادرنة، فاضطرت بلغاريا الى طلب الصلح، واجتمعت الاطراف المتحاربة في حرب البلقان الثانية في بخارست وعقدت صلحا في أب عام ١٩١٣م، ولما اندلعت الحرب العالمية الاولى وقفت هذه الدول الصغيرة تترقب الموقف لترى اي من الخصمين يتمكن من طحن الاخر او ايهما يخرج من الحرب ظافرا منتصرا، لتربط مصيرها به، علها تستعيد ما فقدته وتنتقم من خصومها واعدائها، وهذا الموقف كانت تتبناه بلغاريا، كما ان الدول الاخرى كانت ترقب نفس الموقف لكي تحافظ على ما حصلت عليه في معارك البلقان، لكن الدولة العثمانية كانت سباقة بين هذه الدول في الانحياز الى المانيا سيما وانها اكثر الدول التي خسرت املاكها في البلقان نتيجةً للمعارك التي دارت بينها وبين دول البلقان الصغيرة التي كانت جزء من املاك الدولة العثمانية والتي استقلت عنها ولم تعد تابعة لاية دولة بعد ان وقفت بعض الدول الاوربية وخاصة روسيا التي وقفت بجانب دول البلقان ضد الدولة العثمانية[٨].

التغلغل الأوربي في الدولة العثمانية.

في بداية القرن العشرين كانت كل مصالح الدول الأوربية تقريباً قد تعارضت مع بقية اجزاء الدولة العثمانية، وقد اتخذ هذا التغلغل اشكالاً مختلفة بين دولة واخرى، فالى جانب الحقوق المستمدة من الامتيازات الاجنبية والقروض المقدمة للدولة العثمانية، وامتيازات مَد واستغلال السكك الحديدية في الدولة العثمانية واملاكها، اضافة الى الاستثمارات المالية في المشروعات المحلية وادارة البنوك الاجنبية، فالى جانب كل ذلك كانت البعثات التبشيرية والمدارس والمستشفيات المسيحية تحظى بجانب كبير من الاهمية لدى الدول الاوربية[٩]. كما كانت حماية الدول الاوربية لقطاعات مختلفة من السكان المحليين فكانت فرنسا تخلع حمايتها على الموارنة في لبنان، ففي مؤتمر برلين (١٨٧٨م) بعث القاصد الرسولي بباريس الى وادنجتون وزير الخارجية الفرنسي برسالة تأييد وشكر رسمي من الكرسي الرسولي لدفاعه عن الحماية الفعلية لفرنسا للمصالح الكاثوليكية بالشرق، ففي ٢٢ ايار ١٨٨٦م اصدر البابا ليو الثالث عشر امراً الى جميع الكاثوليك بالخضوع للحماية الفرنسية والاعتراف بها للوكلاء

والقناصل الفرنسيين، كذلك اعترف الفاتيكان بالحماية الفرنسية للكاثوليك في بلاد الدولة العثمانية(١٠).

اما روسيا فكانت ترعى العقيدة اليونانية الارثوذكسية في الدولة العثمانية منذ عام ١٧٢١م حيث اصبحت كنيسة موسكو على عهد بطرس الاكبر هي الوريثة الشرعية للكنيسة الارثوذكسية الكبرى في القسطنطينية، كما كانت بريطانيا ترعى الدروز واليهود واقامت نتيجة لذلك قنصلية في القدس عام ١٨٣٩م كانت مهمتها الرئيسية حماية الجالية اليهودية في فلسطين، وكانت مسألة حماية اليهود الشغل الشاغل للقنصلية البريطانية في القدس(١١)، كما كانت دولا اخرى تتمتع بنفوذ قوي فلا يمكن ان نتجاهل البعثات التبشيرية الامريكية، حيث قامت البعثة الامريكية (البرسيتيرية) بأنشاء الجامعة الامريكية في بيروت عام ١٨٨٦م، وهكذا فرضت فرنسا وروسيا حمايتها للكاثوليك والارثوذكس، واعلنت بريطانيا حمايتها للدروز والبروتستانت واليهود وذلك في سوريا وجبل لبنان وفلسطين، يضاف الى ذلك ما فرضته الدول الغربية على جميع انحاء الامبراطورية العثمانية من امتيازات اجنبية بحيث اصبح المقيمون الاجانب دولة داخل دولة لا تسري عليهم القوانين والضرائب العثمانية، كما كانت فرنسا تفرض سيطرتها على المناطق التي كانت موضعاً للاستثمارات المالية ومد السكك الحديدية والتعليم والثقافة(١٢). ومن المعلوم ان فرنسا عقدت اول معاهدة بالمعنى الصحيح مع الدولة العثمانية في ٢٨ ايار ١٧٤٠م تخص الامتيازات الاجنبية(١٣).

من الملاحظ انه بينما كانت فرنسا تستغل فكرة حماية الكاثوليك بدعوى المساواة بينهم وبين المسلمين في بلاد الدولة العثمانية، كانت روسيا ترمي من وراء ذلك حماية الارثوذكس وفصلهم عن الدولة العثمانية وتقطيع اوصالها، وما لبثت فرنسا وبريطانيا وايطاليا ان تبنت فكرة روسيا في اقتسام املاك الدولة العلية فيما بعد، وبالتالي فأن رجال الدولة العثمانية ادركوا وجوب تسوية المسائل المعلقة بين دولتهم وبين الدول الاوربية حتى يصونوا بلادهم من خطر الاضمحلال سيما وان الدول الاوربية تنتظر سقوطها من وقت لاخر(١٤).

اما التوسع الالماني فقد غطى على المنافسة التقليدية لباقي دول اوربا وخاصة الدول الكبرى فرنسا وبريطانيا وروسيا فمنذ اواخر القرن التاسع عشر وحتى عام ١٩١٢ تطور رأس المال الالماني في الدولة العثمانية حتى بلغ خمسمائة مليون مارك الماني تقريبا، اضافة الى الديون الالمانية الضخمة حتى اصبح مجموع الممتلكات الالمانية الف مليون مارك، ولم يقف



الامر الى هذا الحد بل واصل الالمان نفوذهم السياسي في الاستانة، سيما وان السلطان عبد الحميد الثاني قد رحب بذلك. وفي عام ١٨٩٨ ادى القيصر الالماني وليم الثاني فريضة الحج في فلسطين كمظاهرة سياسية في التعبير عن النفوذ الالماني في الشرق الادنى، وزار دمشق واعلن منها ان بإمكان مسلمي العالم البالغ عددهم ثلاثمائة مليون مسلم انذاك ان يركنوا الى صداقته(١٥)، وهكذا بدأ التسامح الذي ارتأته الدولة العثمانية في منح الامتيازات الأجنبية ينقلب مع إطلالة القرن الثامن عشر الى مبدأ التدخل الأجنبي الذي يفرض نفسه في شؤونها، فقد أخذت الامتيازات الأجنبية تتوالى وتتكاثر لعموم الدول الاوربية كالنمسا عام ١٧١٨م وصقليه عام ١٧٤٠م وبروسيا عام ١٧٦١م واسبانيا عام ١٧٨٢م، وروسيا عام ١٧٨٣م واخيراً الولايات المتحدة الامريكية ١٨٣٠م وبلجيكيا ١٨٣٨م واليونان ١٨٥٨م(١٦).

الاوضاع العامة في الدولة العثمانية قبل دخولها الحرب

لقد كان في الدولة العثمانية كما في اليونان وبلغاريا قبل الحرب حزبان يتنافسان بقوة، احدهما يؤيد المانيا وانصارها، والثاني يرغب في كسب مودة انكلترا وحلفائها، الا ان تاييد المانيا للدولة العثمانية ودعمها اللامحدود قد اكسبها حب العثمانيين لها، سيما وان العثمانيون كانوا يدعمون اية جبهة تشكل ضد روسيا عدوتها التاريخية اللدود، وكان هذا الموقف لا يحرك ساكنا من قبل الانكليز، لان الراي العام الانكليزي لم يكن يميل الى العثمانيين ولا يحبهم اصلا، كما ان انكلترا كانت قوية ويحسب لها حسابها من جميع الاطراف الدولية الاخرى، حتى ان بعض الزعماء العثمانيين كانوا يريدون التحالف مع انكلترا لو ارادت ان تمد يدها لهم، ولذلك عندما تولى ابراهيم حقي باشا وزارة الخارجية في الدولة العثمانية كان رأس القائلين والداعين الى سياسة التسوية للوصول الى اتفاق مع الدول الأوربية وخاصة انكلترا(١٧). وقد نجح ابراهيم حقي باشا بعقد اتفاقية مع بريطانيا في ٩ آذار عام ١٩١٤م، وقعها عن الجانب البريطاني السير أدواردغراي وزير خارجية بريطانيا لكن هذه الاتفاقية كانت تخص الساحل الشرقي للبحر الاحمر وسميت باتفاقية المحميات وحضرموت لتحديد الحدود بين الدولة العثمانية وبريطانيا(١٨).

لقد ذكر ونستون تشرشل وزير البحرية البريطاني اثناء الحرب العظمى، انه زار الأستانة والتقى بجاويد وطلعت خليل وانور باشا خلال المناورات الألمانية العثمانية، وتبين له أنهم جميعا كانوا يرغبون في النهوض ببلادهم وتعزيز مكانتها واصلاح ما فسد من احوالها،

وذكر انه تعاطف معهم وتمنى لهم النجاح، ولما هاجمت ايطاليا (ليبيا) عام١٩١١م، طلب وزير المالية جاويد من تشرشل مساعدة الدولة العثمانية والتحالف معها والوقوف ضد ايطاليا ومنعها من احتلال ليبيا، سيما وان الراي العام العثماني كان ناقما على ايطاليا وحلفائها النمسا والمانيا، وقد حول هذا الطلب الى وزير خارجية انكلترا السير ادواردغراي الذي اعتذر وذكر ان انكلترا لا تستطيع عمل اي شيئ في الوقت الحاضر، لأنها اعلنت حيادها في الحرب وان انكلترا ليس لها مطامع في أملاك الدولة العثمانية[١٩]، إلا ان هذا لم يؤكد صحته في السنوات اللاحقة وخاصة عندما عُقدت اتفاقية سايكس بيكو السرية اثناء الحرب العظمى والتي اتفق فيها الحلفاء على تقسيم املاك الدولة العثمانية بعد انتهاء الحرب.

وحينما اقتنعت انكلترا عن اسعاف طلب الدولة العثمانية جعلها ترتمي بأحضان المانيا، بعد ان شعرت بالخطر الروسي الذي يهددها، وقد تطورت العلاقات العثمانية الالمانية في السنوات التالية بسرعة وازدادت تحسناً وقوة، وان الروح العسكرية الالمانية كانت تسيطر على افراد الجيش العثماني وضباطه، وهذا التحول جعل الانكليز يشعرون بأن الدولة العثمانية سوف تشكل خطرا على مصالحهم في المستقبل، وعلى هذا الاساس استولت الحكومة البريطانية على سفينتين حربيتين جرى بناءهما في الترسانة البحرية البريطانية لصالح الدولة العثمانية، وكان صنعهما قد اكتمل ودفعت الدولة العثمانية ثمنها من جمع اكتسابات عامة قومية في الدولة العثمانية، وبررت انكلترا هذه الخطوة لحاجتها الماسة الى البارجتين لتحسين اسطولها البحري الذي يتنافس مع الأسطول الالماني، كما اعلنت انها على استعداد لإعادة الاموال الى الدولة العثمانية ثمن البارجتين، إلا ان الرأي العام العثماني سرعان ما استشاط غضبا لرفض بريطانيا تسليم السفينتين الحربيتين الى الدولة العثمانية[٢٠]، وبناءا على ذلك فقد نجحت المانيا في جر الدولة العثمانية الى جانبها، خاصة وان الالمان كانوا يطمحون ان يمكنهم التحالف مع الدولة العثمانية من استغلال العراق والتغلغل في بلاد فارس تجاريا وسياسيا، اضافة الى توجيه ضربة قوية الى الوجود البريطاني في مصر وتهديد مصالح بريطانيا في الهند[٢١].

وهكذا أصبحت الدولة العثمانية ومنذ سنوات خلت تحت تأثير المانيا التي ساعدتها في قروضها الخارجية والاستثمارات المالية في المشروعات المحلية وادارة البنوك الاجنبية، كما قام الالمان بإنشاء خطوط للسكك الحديدية[٢٢]، اضافة الى مجيء بعثة عسكرية المانية

الى استانبول لتدريب الجيش العثماني على فنون الحرب الحديثة وذلك بطلب من العثمانيين، وقد سُر الالمان عندما طلب منهم ارسال بعثة عسكرية لتنظيم الجيش العثماني، سيما وان الالمان تواقين لإعادة سمعة سلاحهم الذي أهين بيد الجيش العثماني الذي دربته المانيا عندما هُزم امام الجيش اليوناني والصربي بسلاح فرنسي، اضافة الى ان الالمان كانوا يتطلعون دائما الى عقود للسلاح لمؤسسة (كروب) التي كان للامبراطور الالماني وليم الثاني أسهم عديدة فيها، ومن الجدير بالذكر انه في مايس عام ١٩١٣م عندما جاء الطلب العثماني كان البلغاريون على ابواب القسطنطينية ولاقى الطلب العثماني تأييد من جانب روسيا لأنها ارادت تقوية المقاومة العثمانية، اذ وافق القيصر نيقولا الثاني بنفسه على هذا الطلب عندما كان في زيارة الى برلين، ومما زاد في التقارب بين المانيا والدولة العثمانية هو ان رجال حزب الاتحاد والترقي الذين كانوا يسيطرون على سياسة الدولة العثمانية يميلون الى المانيا بطبيعتهم الخاصة ومنهم انور باشا وطلعت باشا وجمال باشا[٢٣]، ومن الملاحظ ان الذي دفع روسيا لأخذ هذا الموقف هو لغرض ان تبقى المضايق بيد الدولة العثمانية وليس بيد غيرها وذلك لتامين مصالحها في البسفور.

لكن بحلول تشرين الثاني عام ١٩١٣م لم يعد الروس يخشون من بلغاريا، بل انهم استاءوا عندما تولى القائد الالماني (ليمن فون ساندرس) مسؤولية الجيش العثماني وخاصة عندما تولى ليمن فون مسؤولية القيادة في القسطنطينية، عندها لاذوا بشركائهم في الوفاق الثلاثي (Triple Entente) طالبين التأييد، الا ان بريطانيا وفرنسا منحت تأييدها لروسيا ببعض التردد، وذلك لان الفرنسيين لهم مصلحة مشتركة مع المانيا في إعادة الاستقرار الى الأوضاع المالية في الأستانة، بل وتعزيز قوة الدولة العثمانية العسكرية، اما البريطانيين فكانوا اكثر حرجا اذ كانت مسؤولية إعادة تنظيم البحرية العثمانية تحت إمرة اميرال بريطاني وكانت بريطانيا تأمل في كسب عقود بناء سفن في الدولة العثمانية، هذا الموقف أثار حفيظة روسيا لأنها كانت لا تريد تقوية البحرية العثمانية، اما الالمان فقد وجدوا لهم مخرجا من هذا النزاع الذي أثاروه، ففي كانون الثاني عام ١٩١٤م رقي القائد الالماني ليمن فون الى رتبة مهيب في الجيش الالماني وبذلك اصبح من غير اللائق ان يبقى يتولى قيادة القوات في القسطنطينية، وهكذا انتهت هذه الأزمة الآنية إلا إن الصراع بقي مستمرا[٢٤].

الموقف الدولي تجاه الدولة العثمانية قبل الحرب

لقد كان سعيد حليم باشا الصدر الاعظم ضعيف الثقة في الدول الاوربية قليل الايمان بمودتها واخلاصها، ويعلم انها غير صادقة في وعودها وكان هذا الاعتقاد قد وضع الدولة العثمانية في عزلة تامة لا تستطيع الاعتماد على احد ولا تثق باحد، لكنه عندما الف وزارته وجد نفسه امام امر واقع وهو ضرورة التجاء الدولة العثمانية الى احدى الجبهتين في اوروبا، فاما الانضمام الى انكلترا وحلفائها او الانضمام الى المانيا وحلفائها، ومن الصعب ان نجري مقارنة بين الفريقين، وذلك لان العثمانيون كانوا على عداء مع روسيا بل يكرهونها بشكل كبير، وكانوا يعتقدون ان خطرها اكبر واعظم من كل الدول الاوربية معاً، فكانوا لا يثقون بها ولا بوعودها بل يميلون دائما للانضمام الى الجبهة التي تكون ضد روسيا، ومما زاد في ذلك ان الصدر الاعظم اراد ان يجس نبض الدول الاوربية في الانضمام الى احدى الجبهتين وذلك بواسطة سفرائه في الخارج وتبين له إن روسيا تريد عقد اتفاقا معه يجعل الدولة العثمانية تحت الحماية الروسية فرفض ذلك بشدة[٢٥].

وفي عام ١٩١٤م ذهب جمال باشا وزير البحرية بأمر الصدر الأعظم لحضور المناورات الفرنسية، ومن ثم القيام بمباحثات مع الحكومة الفرنسية على عقد معاهدة سياسية تقرر فيها العلاقات السياسية والاقتصادية بين الدولتين على أساس متين، الا ان وزارة الخارجية الفرنسية عرضت شروطا شديدة اعتبرتها الدولة العثمانية تعجيزية وغير مجدية أهمها منح سوريا استقلالا داخليا واسعا يجعلها مستقلة عن بقية مناطق الدولة العثمانية وكان أهم هذه الشروط هي

١- ان تستقل سوريا استقلالا داخليا وان يكون جميع الموظفين فيها من أبنائها.
٢- ان تعين الحكومة العثمانية الحاكم العام بعد موافقة الحكومة الفرنسية.
٣- اطلاق يد فرنسا في بعض الامتيازات في سوريا.
٤- ان يكون لسوريا نواب في مجلس النواب العثماني.

وعندما عاد جمال باشا الى الاستانة في ٢٠ تموز عام ١٩١٤م كان متاثرا لحد ما بما عرضته عليه فرنسا، غير ان طلعت باشا ابلغه انه لا خير للدولة العثمانية من فرنسا التي لا ترغب بالاتفاق معنا الا على اساس استعمار سوريا. وانتهز الفرصة طلعت باشا وعرض مقترحا على جمال باشا يتضمن انه فيما لو عرضت المانيا علينا اتفاقا هل نوافق عليه، وعلى



الرغم من ان جمال باشا معروفا بانه شديد الثقة بصداقة فرنسا للدولة العثمانية، لكنه ما كاد يسمع هذا السؤال حتى بادر طلعت باشا قائلا: انني اقبل حالاً، لان هذا ينقذنا من سياسة الانفراد والعزلة(٢٦).

غير ان طلعت باشا لم يكن يريد معرفة رأي جمال باشا في الامر فحسب، لكن الحقيقة كانت هناك مفاوضات سرية تجري بين الدولة العثمانية والمانيا، حتى ان المانيا هي التي حاولت التقريب من وجهتي النظر اليونانية والعثمانية، عندما تقرر عقد اجتماع في بروكسل في شهر تموز يحضره الصدر الاعظم سعيد حليم باشا والمسيو (فنزيلوس) رئيس الوزراء اليوناني ولكن الصدر الاعظم لم يتمكن من الحضور بسبب الانذار النمسوي والذي هدد اوربا بالحرب العامة(٢٧).

اخيرا نجحت الدولة العثمانية بعقد اتفاقا مع المانيا بطلب من الاولى، وقد ذكر احد الساسة الاتراك عن الاتفاق وقال ((ذهب وزير المالية جاويد بك صباح يوم ٢ تموز الى قصر الصدر الاعظم فلما دخل الى الصالة العامة وجد الصدر الاعظم يكتب على مكتبه وعلى مقربة منه رئيس تراجمة السفارة الالمانية المسيو (فيبر) فانتظر قليلا قبل ان يدخل على الصدر الاعظم، وكان قد حضر الى القصر في هذه الفترة طلعت باشا وانور باشا ورئيس مجلس النواب خليل بك، وكان الصدر الاعظم قد انتهى من الكتابة ووقع الورقة التي كان يكتبها بملف سلمه الى المسيو فيبر فاخذه هذا وانصرف حينها. ولما دخل الوزراء اخذ يتلو عليهم الصدر الاعظم صورة الكتاب والذي بعث به الى السفير الالماني في الاستانة، فاذا بهم امام نسخة من المعاهدة التي وقعها الصدر الاعظم منذ وقت قصير باسم جلال السلطان محمد رشاد الخامس)) والواقع ان هذا الاتفاق تم بناء على طلب من الدولة العثمانية حيث كان انور باشا هو المحرك لهذا الاتفاق وصاحب الرأي فيه والعامل الرئيسي لإقراره، فهو الذي قابل مع الصدر الاعظم سفير النمسا في الاستانة واقنعه بضرورة تعزيز نفوذ النمسا في البلقان، وفي الوقت نفسه طلب من السفير الالماني ان يساعد الدولة العثمانية في الدخول الى الحلف الالماني، ولما علم امبراطور المانيا (غليوم) برغبة الدولة العثمانية في ٢٣ تموز في العام نفسه خشي ان رفضت المانيا الطلب ان تنظم الدولة العثمانية الى اعدائها، فامر فورا وزارة الخارجية الالمانية بالقيام بمفاوضات صريحة وسريعة مع الوزارة العثمانية، وعندئذ ارسل وزير الخارجية الالماني الى سفيره في الاستانة يامره فيها بمفاوضة الحكومة العثمانية بشان

الاتفاق. وفي ٢٨ تموز ابرق السفير الالماني الى حكومته يبلغها بما يلي ((دعاني الصدر الاعظم منذ دقائق ورجاني باسم السلطان محمد رشاد الخامس ان اعرض على صاحب الجلاله القيصر رغبته في عقد اتفاق سري ((هجومي دفاعي)) بين الدولة العثمانية والمانيا ضد روسيا، ومتى تحقق هذا الاتفاق امكن الدولة العثمانية الانضمام الى الاتفاق الثلاثي)) ومن المؤكد ان هذا الاتفاق السري الذي طلبت الحكومة العثمانية عقده يصار تنفيذه عند مهاجمة روسيا الدولة العثمانية، او مهاجمتها لالمانيا ويسري مفعوله في الوقت نفسه فيما لو هاجمت روسيا النمسا والمجر، او فيما اذا هاجمت المانيا او حلفائها روسيا، وقد طلبت الدولة العثمانية انها لا تطلب الحماية من ايه دولة اخرى غير روسيا فقط(٢٨)، وبالمقابل تتعهد الدولة العثمانية بإبقاء الامتيازات الاجنبية وتنفيذ اتفاقاتها المتعلقة بالديون العمومية والتعهدات الدولية التي قطعتها على نفسها، وتشترط لقاء ذلك بقاء الهيئة العسكرية في بلادها عند نشوب الحرب بينها وبين احدى الدول او الحلفاء انفسهم، متعهده في الوقت نفسه ان تعهد بقيادة ربع جيوشها الى رؤساء هذه الهيئة، وان تدمج ادارة الجيش العليا الى هذه الهيئة العسكرية(٢٩).

ونذكر بهذه المناسبة ان المفاوضات كانت تدور بمعزل عن وزراء الدولة العثمانية بين السفير الالماني والصدر الاعظم، واشترط الصدر الاعظم ان تبقى المفاوضات سرية وان لا يعلم بها حتى سفير الدولة العثمانية في المانيا (محمود مختار باشا) وقد ترددت المانيا في عقد هذا الاتفاق لكنها رضيت به اخيرا مخافة ان تنظم الدولة العثمانية الى الحلفاء، وحينما اصبحت الحرب امرا واقعا قررت الوزارة الألمانية عقد الاتفاق، فابرقت الى سفيرها في الاستانة تخبره بموافقة الحكومة الألمانية، فتم توقيع الاتفاقية بين الطرفين في الساعة السادسة من يوم ٢ آب ١٩١٤م، وهو نفس اليوم الذي أعلنت فيه ألمانيا الحرب على روسيا، فيما اعلنت الدولة العثمانية الحياد وتظاهرت به فترة من الزمن حتى تكمل استعداداتها الحربية بدرجة كافية لتنتظر الفرصة بدخول الحرب(٣٠).

وقد نصت المعاهدة على ما يلي:

١- ان تتعهد الدولتان المتعاقد تانب المحافظة على الحياد التام تجاه الحرب الحاضرة بين النمسا والمجر وصربيا.

٢- في حالة اضطرار قيام المانيا بتنفيذ تعهداتها المنصوص عليها في الاتفاق المعقود بينها وبين النمسا بسبب تدخل روسيا الفعلي عسكريا يجب على الدولة العثمانية القيام بتنفيذ تعهداتها نحو المانيا.
٣- تتعهد المانيا في حالة الحرب بان تترك بعثتها العسكرية تحت تصرف الدولة العثمانية، وبالمقابل تتعهد الدولة العثمانية بان تنفذ الاتفاق المباشر الذي يقره رئيس البعثة مع وزير الحربية للدولة العثمانية، وبه تمنح البعثة نفوذا فعليا وصلاحية تؤمن معها ادارة الجيوش العامة.
٤- تتعهد الدولة العثمانية بالدفاع بقوة السلاح عن الممالك العثمانية فيما اذا تعرضت لتهديد روسيا.
٥- تتعهد الدولتان بابقاء هذا الاتفاق ساريا بعد توقيعه من المرجعين الساميين لغاية ٢١ كانون الثاني ١٩١٨م.
٦- اذا لم يتقدم احد الطرفين المتعاقدين بطلب فسخ هذه المعاهدة قبل انتهاء اجلها تعتبر مجددة لمدة لخمس سنوات.
٧- يتعهد المتعاقدان الساميان بتبادل المعاهدة مصدقة من القيصر الالماني والسلطان العثماني في خلال شهر على الاكثر من تاريخ التوقيع.
٨- تبقى هذه المعاهدة سرية ولا تنشر الا باتفاق الفريقين المتعاقدين[٣١].

من خلال ما تقدم يمكن ان نستخلص اموراً مهمة تخص هذه الوثيقة الخطيرة، وان ننظر لها نظرة خاصة وما لها من تاثيرات مهمة على مجرى السياسة العثمانية فيما بعد، وهو ان هذا الاتفاق لم يكن من الالمان، وانما هو اقتراح من سفير النمسا في الاستانة الذي أحس بان الحرب بين صربيا ودولته اصبحت امراً واقعا، وبالتالي فان سفير النمسا كان كثير الرغبة في كسب صداقة الدولة العثمانية، وبالمقابل كانت المانيا تعلم جيدا ان هذا الاتفاق لا يفيدها في ذلك الوقت وانه سيكلفها بعض الواجبات والتبعات التي هي في غنى عنها، لكنها عادت وقبلت به لما أصبحت الحرب على الابواب، وخشيت ان تنحاز الدولة العثمانية الى دول الوفاق الثلاثي، عندها أسرعت في توقيع هذه المعاهدة، وكان من اهداف تحالف المانيا مع الدولة العثمانية هي إثارة حركة الجامعة الاسلامية، التي كانت تتماشى مع هدف السلطان حسين على الجهاد، فكان الالمان يسعون الى استقلال حركة الجامعة الاسلامية في توجيه

ضربة الى نقاط الارتكاز البريطانية في مصر والهند، وكذلك دفع المصريين الى ثورة ضد بريطانيا، وهذا لم يتحقق لان السلطات البريطانية قامت بنقل الجيش المصري الى السودان، كما ان حلفاء المانيا القادة العثمانيين قد اتخذوا موقفا معاديا من مطالب القوميين العرب الخاصة بالاستقلال الذاتي واللامركزي، على الرغم من وجود الضباط العرب في الجيش العثماني والذين كانوا يكنون احتراما للجيش الالماني والعسكرية الالمانية فان التحالف بين العثمانيين والالمان قد حال دون تلاقي القوميين العرب مع المانيا، كما ان الالمان لم يكن باستطاعتهم ان يستجيبوا لفكرة استقلال العرب ولم يساندوا امال الزعماء العرب في قيام دولة عربية مستقلة على خلاف الانكليز، الذين وعدوا الزعماء العرب بالوقوف معهم في تحقيق امالهم، لذلك استطاع الانكليز التحالف مع الزعماء العرب وخاصة الشريف حسين في الوقوف معهم والتخلي عن فكرة الجهاد مع الدولة العثمانية[٣٢].

اما اهمية هذا الاتفاق لم يكن مقيدا للدولة العثمانية لا من الناحية السياسية ولا العسكرية، لانها لم تكن في خطر في ذلك الوقت لان الحرب اصبحت عامة وان الدول الاوربية اصبحت بحاجة الى كسب ودها، وكان بامكان الدولة العثمانية ان تحصل على اتفاقات دولية احسن بكثير من الاتفاق الالماني العثماني لو تريث العثمانيين قليلا وقفوا موقف اليقضة والحذر.

ومن الجدير بالذكر ان الدولة العثمانية لم تربح من الاتفاق مع المانيا شيئا، بل انها تعهدت بابقاء الامتيازات الاجنبية في بلادها، وان هذه الامتيازات لا يمكن لأي دولة تريد المحافظة على استقلالها ان تقبل بها. اما من جانب الامر السلطاني الذي اصدره السلطان الى الصدر الاعظم من اجل عقد الاتفاق الالماني العثماني فنراه محدودا ومعتدلا، فقد جاء بالأمر ((تجاه ما يحتمل من اعتداء روسيا على اراضينا فقد فوضنا الصدر الاعظم سعيد حليم باشا بتوقيع اتفاق دفاعي مع المانيا ..)) ويبدوا ان الصدر الاعظم قد تجاوز صلاحياته، وكان الاتفاق ناقصا في كثير من الوجوه، حيث ان المانيا تعهدت للدولة العثمانية بالحفاظ على اراضيها ضد روسيا، ولكنها لم تتعهد بشيء امام اعتداء انكلترا وفرنسا على الاراضي العثمانية بينما تعهدت الدولة العثمانية لالمانيا بكل شيء ....[٣٣].

بعد توقيع المعاهدة بدأت المانيا بالتدخل في شؤون الدولة العثمانية وخاصة في الجيش، فقد طلبت من انور باشا اصدار امر سلطاني بالنفير العام، ففعل قبل ان يقرر

مجلس الوزراء ذلك، وهذا ناتج عن ان التغلغل الالماني في الدولة العثمانية قد بلغ اشده عند توقيع المعاهدة، وقد بدا الاستعداد العثماني لدخول الحرب الذي اصبح لا مفر منه، سيما وان انور باشا وطلعت باشا وجماعة الاتحاد والترقي يدفعون باتجاهها بقوة[٣٤].

أخيرا بدأت الاحداث تتسارع باتجاه دخول الدولة العثمانية الحرب حيث بدات الدولة العثمانية استعداداتها بعد يوم واحد من توقيع المعاهدة مع المانيا، وزاد على ذلك التجاء الطرادين الالمانيين ((غوبن Goeben)) ((برسلو Breslaw)) الى الدردنيل هربا من الاسطول البريطاني الذي كان يطاردهما، على الرغم من ان معاهدة لندن منعت مرور السفن البحرية العسكرية الاجنبية في الدردنيل اثناء الحرب، ولكن انور باشا تجاهل هذه الاتفاقية وامر القائد المسؤول عن حصون الدردنيل بالسماح للطرادين بدخول الدردنيل، وبذلك اصبح الاسطول العثماني اقوى من الاسطول الروسي في البحر الأسود[٣٥].

ومن الجدير بالذكر ان تشكيلة بحرية بريطانية يقودها الاميرال تروبريج (Trubridge) سبق وان ارادت دخول الدردنيل، لكن العثمانيين رفضوا السماح لها بالتمتع بالامتياز نفسه الذي منح للطرادين الالمانيين، وعندما احتجت بريطانيا على ذلك، اتهم الباب العالي البريطانيين بامتناعهم عن تزويد دولته بالبارجتين التي اوصت بصنعهما من قبل المسافن البريطانية لصالح حكومته على الرغم من انه قد تم دفع ثمنها[٣٦].

ونذكر بهذه المناسبة ان دخول الطرادين كان في مساء الاثنين ١٠ آب ١٩١٤ حينما كان مجلس الوزراء العثماني منعقدا في قصر الصدر الاعظم، وذلك للمذاكرة في الشؤون السياسية الخطيرة، واذا بأنور باشا يدخل عليهم ويقول أبشركم لقد رزقنا ولدين ..! عندها نظر الوزراء الى انور باشا مندهشين ... لا يعرفون ماذا يقصد بقوله، واذا به يتابع حديثه قائلا ((ضايقت الدراعتان غوين وبرسلو الاسطول البريطاني فطاردهما مطاردة عنيفة ففرتا منه والتجأتا الى الدردنيل، وقد خابرني قائدهما يرجوني السماح له بدخول الدراعتين المياه العثمانية، فامرت بأدخالهما وهما الان تحت حماية مدافعنا، لانه ليس من اللياقة رفض طلب دولة نحن على اتفاق معها...))[٣٧]، والحقيقة ان دخول الدراعتين من اهم العوامل التي مكنت دعاة الحرب من اقحام دولتهم فيها.

إلا ان السياسي التركي احمد رؤوف بك ذكر ان دخول الدراعتين الى الدردنيل كان بالاتفاق مع انور وطلعت باشا، واكد ان السفير الالماني نفسه كتب الى وزارة الخارجية

الالمانية في اول آب يطلب منها ارسال الطرادين لتقوية الاسطول العثماني وتعزيزه، ووضعت الاميرال سوشون قائد غوبن تحت تصرف الدولة العثمانية، ومن المعلوم ان الصدر الاعظم مانع في دخول الطرادين، واخبر سفراء الدول بذلك رسميا وذكر ان دخولهما الى الدردنيل صدمة عنيفة لسياسته السلمية، ولما وجد نفسه امام امر واقع قرر بالاتفاق مع اكثرية الوزراء تجريد الدراعتين من سلاحهما والاحتفاظ بها كرهينتين في مرفا ((ازميت)) وكلف الوزراء بابلاغ هذا القرار حالا الى السفير الالماني البارون ((فالكنهاين)) كما وطلب الصدر الاعظم السفير الالماني لمقابلته، وكان مجلس الوزراء منعقدا، ولما وصل السفير الالماني وما كاد يختليان حتى تعالت اصواتهما، فدل ذلك على اختلاف وجهات النظر بينهما، وعند ذهاب السفير الألماني اخبر الصدر الاعظم وزرائه بالن البارون فالكنهاين يرفض اقتراح مجلس الوزراء، لان دخول الدراعتين الى ميناء ((جناق قلعة)) برضى الحكومة العثمانية، ولهذا لا يمكن لهما ان ينزعا سلاحهما ابدا، وذكر الصدر الاعظم انه هدد السفير الالماني بفتح ابواب المضايق لاسطول الحلفاء، فاجابه السفير قائلا ((فات جنابكم ان سفننا الحربية تصل الى الاستانة فتقذف عليها قنابلها قبل ان يتمكن الاعداء منها، وهذه حقيقة يجب ان تكونوا على ثقة باننا لن نتاخر قط عن تنفيذها، بل اننا لن نتاخر عن الاتفاق مع الروس للزحف على بلادكم...)) عندها ترك الصدر الاعظم الامر لمجلس الوزراء وامتنع عن مفاوضة الالمان، لذلك رأى الوزراء من الحكمة تسوية هذه المشكلة الجديدة، فاوفدوا طلعت باشا ورئيس مجلس النواب خليل بك لمفاوضة السفير الالماني الا انهم لم يوفقا في اقناع السفير الالماني[٣٨].

أخيراً اقترح خليل بك شراء الدراعتين من الحكومة الالمانية فوافق مجلس الوزراء على الاقتراح، ولكن بعد عرض الامر على الامبراطور الالماني، في حين كان سفراء الحلفاء يلحون في طلب صريح وسريع باخراج الدراعتين من الدردنيل، لكن الصدر الاعظم انتهز الفرصة ودعى اليه مندوبوا الصحف، وطلب منهم ان ينشروا نبأ شراء الحكومة العثمانية الطرادين من المانيا، وفي يوم ١٦ آب ١٩١٤ شوهدت الدراعتين تتقدمان الى ميناء الاستانة وعليهما علم الدولة العثمانية، بعد ان اعلن شرائهما قولا لا فعلا وضمهما الى الاسطول العثماني، مع بقاء بحارتهما الالمان على قيادة الطرادين[٣٩]، ويبدو ان الدولة العثمانية ارادت ان توفر حماية للطرادين الالمانيين من خلال اعلان شرائهما وضمهما الى الاسطول العثماني.

موقف الدول الاوربية قبل دخول الدولة العثمانية الحرب

لقد كانت مواقف الدول الاوربية متباينة فيما بينها بشأن دخول الدولة العثمانية الحرب، فقد كانت فرنسا كثيرة الرغبة في عدم دخول الدولة العثمانية الحرب، حتى ان وزارة الخارجية الفرنسية اصدرت اوامرها الى الصحف بعد دخول الطرادين الى الدردنيل بان لا تعلق الصحف على موقف الدولة العثمانية بكلمات جارحة تسيء لها، بل كانت وزارة الخارجية الفرنسية تعمل على ابقاء الدولة العثمانية على الحياد، كما ابدت فرنسا استعدادها لاعطاء الدولة العثمانية مطاليبها والمحافظة على استقلالها.

اما موقف روسيا فكان على خلاف ذلك فقد كانت حكومة القيصر الروسي تخشى ان تنظم الدولة العثمانية الى الحلفاء وان تقف على الحياد، لانها ستضطر امام هذه الظاهرة الى عدم التدخل في شؤون السياسة العثمانية، تحت ضغط انكلترا وفرنسا، كما انها ستضطر في الوقت نفسه الى قطع الامل من الاستيلاء على الاستانة لمدة طويلة، ولذلك ترى ان ((سازانوف)) وزير الخارجية الروسي كان يعارض كثيرا التفاهم مع الدولة العثمانية، بل وكتب الملحق العسكري الروسي ((ليوتيف)) في الاستانة، والذي كان انور باشا يتحدث معه بشان موقف الدولة العثمانية من الحرب العظمى قائلا ((ما دمنا لم ناخذ جوابا من بلغاريا عن موقفها في الحرب الحاضرة ، فجرب في احاديثك مع انور باشا ان تكسب الموقف لاننا لا نخشى من هجوم الدولة العثمانية علينا ابدا))

اما موقف انكلترا فكانت كثيرة الرغبة في الاتفاق مع العثمانيين، وترى انه لو حرص رجال حزب الاتحاد والترقي على مصالح بلادهم الحقيقية لاستفادوا من هذه الفرصة الثمينة، وتفاهموا مع الحلفاء وعملوا على تعزيز قواهم ومكانتهم، واقرار العدل في جميع اتحاد السلطنة، والعمل على الاحسان في مختلف المشاريع العامة، ولكن رجال السياسة في الاستانة غير اهل لذلك، فذهب الاكثرية المخلصة من العثمانيين ضحية هذه الاقلية الطامحة بكل شي[٤٠].

اما الموقف في البلقان فكانت جيوش بلغاريا تسير ظافرة فاتحة بينما كانت جيوش حلفائها من العرب واليونان تتقدم دون معارضة قوية، وتحتل الاماكن التي اخلاها العثمانيين او الاماكن التي تركوا فيها حامية صغيرة، بينما كان البلغار يتحملون كل اعباء المعارك ويقاسون مختلف المصاعب ويصابون بالوان الخسائر، كان الصرب واليونانيين لا يتحملون

الا اقلها، وحينما توقف الزحف البلغاري نحو الاستانة كانت اكثر الاراضي العثمانية بيد حلفائهم، بينما البلغار ليس لديهم من الاراضي ما يساوي تضحياتهم وخسائرهم، سيما وان الدول البلقانية كانت اقد اتفقت فيما بينها على اقتسام الاراضي العثمانية، وعندما حاولت بلغاريا المطالبة بتنفيذ الاتفاق اخذ الصربيون واليونانيون اختلاق مختلف الذرائع والاعذار للتهرب من تنفيذ الاتفاق، واعلنو انهم سوف يحتفظون بالاراضي التي احتلها جنودهم، مما اغضب البلغاريون الذين هاجموا الصرب واليونان الذين صمدوا امام عدوهم الجديد، وفي هذه الاثناء استغلت رومانيا الموقف وهاجمت بلغاريا واقتطعت منها اراضي واسعة دون ان تخسر شيئا، كما قام انور باشا باسترجاع ادرنة من بلغاريا وبذلك انتهت الحرب البلقانية الثانية ليس بخسارة البلغار حصتهم من الاراضي العثمانية التي اقتسمها الصرب واليونان فحسب بل خسروا ايضا ولايه من املاكهم ضمتها رومانيا الى املكها، وبالتالي فان الفضائع والجرائم التي ارتكبت اثناء الحرب البلقانية قد اقامت سدا منيعا من الدم بين هذه الممالك فيما سكت البلغار على مضض وبدأوا يفكرون بالثأر في الوقت المناسب(٤١).

وفي ١٩ آب ١٩١٤م عرض المسيوفنزيلوس رئيس وزراء اليونان على انكلترا اتفاقا عسكريا تضع اليونان بموجبه جيشها المؤلف من مائتان وخمسون الف جندي تحت تصرف الحلفاء لمهاجمة العثمانيون في ((غاليبولي)) عند الحاجة، لكن انكلترا رفضت الاتفاق لأنها رأت ان الوقت غير مناسب وليس من مصلحتها معاداة العثمانيون في الوقت الحاضر، كما وان هجوم اليونان على الدولة العثمانية قد يغضب روسيا، وهو ما لم تكن ترغب فيه انكلترا والتي رأت انه لم يكن بالإمكان كسب حياد الدولة العثمانية وتأييد الدول البلقانية في نفس الوقت(٤٢).

الحلفاء يسترضون الدولة العثمانية

ولتحقيق اهدافها ارادت دول الحلفاء ان تسترضي الدولة العثمانية من خلال عرض بعض الشروط عليها اذا بقيت على الحياد، ومن هذه الشروط الحفاظ على استقلالها والغاء الامتيازات الاجنبية، حينما توفق الدولة العثمانية الى اقرار نظام قضائي يحفظ حقوق الاجانب، وتقديم القروض اللازمة لها ومساعدتها، كما طلبوا منها في الوقت نفسه تسريح اعضاء البعثة الالمانية وإعادة بحارة الدراعتين الى المانيا.

وكان بامكان الدولة العثمانية ان تنال شروط افضل لو انها ارادت الحياد حقا، لكن حزب الحرب في الدولة العثمانية كان يسيطر سيطرة تامة وكان يريد الحرب ولو رضي الحلفاء بكل شروط الدولة العثمانية، ويبدو ان المفاوضات مع الحلفاء لم تكن الا ذريعة لإيهامهم انها لا تريد الحرب، ولكنها في الحقيقة تريد كسب الوقت لانها تستعد لهذه الحرب منذ بداية ٢ آب ١٩١٤م، اضافة الى انها لا تثق بالحلفاء مطلقا، وكان طبيعيا ان تقوم الدولة العثمانية باغتنام الفرصة فقررت الغاء الامتيازات الاجنبية في ايلول وجعلت الحلفاء امام الامر الواقع[٤٣].

اضافة الى انها وضعت شروطا حملها جمال باشا الى السفير البريطاني باسم الصدر الاعظم بعد الغاء الامتيازات وخلاصتها: ان السلطة العثمانية تتعهد بالوقوف على الحياد التام في الحرب الناشئة في اوربا مقابل حصولها على ما يلي:

١- الغاء الامتيازات الاجنبية باجمعها.
٢- اعادة الجزر في الارخبيل الى السلطة العثمانية.
٣- حل القضية المصرية.
٤- ان تقوم بريطانيا وفرنسا معا وفعليا بمنع روسيا من التدخل في شؤون السلطة العثمانية.

وبعد ثلاثة ايام من استلام المذكرة العثمانية رد السفراء باسم حكوماتهم بما يلي:

أ- يرى الحلفاء ان بالامكان الغاء الامتيازات الاقتصادية حالا، الا انهم لا يجدون في امكانهم الموافقة على الغاء الامتيازات القضائية لان هذا يتوقف اولا: على القيام باصلاحات ادارية تضمن حقوق الجميع، وثانيا: على تنظيم الحقوق الجزائية بصورة تؤمن حقوق الاجانب في القضاء العثماني.
ب- يرى الحلفاء ان تترك قضية الجزر الى وقت مناسب.
ج- اما فيما يخص قضية مصر فانها تترك الى ما بعد الحرب حيث يعمل الحلفاء على حلها بصورة عادلة ومرضية.
د- يرى الحلفاء ان روسيا لا ترغب في الوقت الحاضر بالتدخل بشؤون الدولة العثمانية الداخلية، وانهم يتعهدون بتامين سلامة السلطة العثمانية ويؤيدون استقلالها الداخلي والخارجي[٤٤].

ومن هذا يبدو ان الحلفاء لم يوفقوا في حل القضية المصرية وان يبقوا على الامتيازات الاجنبية التي تتيح لهم التدخل بشؤون الدولة العثمانية متى ما ارادو ذلك، وهذا جعل الصدر الاعظم يتولاه اليأس من عدم نجاحه في الاتفاق مع الحلفاء، كما انه ايقن انهم غير جادين في عقد اي اتفاق يطمئن دولته، لذلك اصبح اقل تشددا في الوقوف بوجه حزب الحرب وفي طليعتهم انور باشا.

لكن بعد هذا الوقت وبعد امتناع الدولة العثمانية عن تسريح اعضاء البعثة الالمانية واعادة بحارة الدراعتين الى المانيا، ايقن الانكليز ان الدولة العثمانية سوف تدخل الحرب ضدها، مما استدعى الساسة الانكليز الى الاستعداد لها ورد الخطر العثماني وخاصة في مصر وشرق السويس، وفي ٦ ايلول ابلغ المسيوفنزيلوس المفوض الانكليزي لدى اليونان بان الجيش اليوناني يستطيع الوقوف بوجه العثمانيين بعدما اعلنت اليونان عن حياد بلغاريا عند نشوب الحرب مع العثمانيين، الا ان اليونايين لم يكن يثقوا بالبلغار وذلك فكروا بالبحث عن قوة اخرى تساندهم، فطلبو من روسيا ان ترسل جيشها الى غاليبولي لمهاجمة العثمانيين فيها، لكن الروس لم يستجيبوا لطلبهم لانهم كانوا بحاجة الى كل جندي لوقف الهجمات الالمانية النمساوية على حدود بلادها، وفي ٩ ايلول قررت الحكومة الانكليزية سحب بعثتها البحرية من الاستانة بعد رفض العثمانيين ارسال البحارة الالمان الى بلادهم، وكذلك بعد ان اخذ الضباط العثمانيون و الالمان يتجاهلون البعثة الانكليزية ويعملون على اهانتهم واحراجهم في كثير من المواقف، وبذلك صدرت الاوامر الى قائد الاسطول البريطاني بمهاجمة الطرادين غوبن وبرسلو اذا خرجا من الدردنيل حتى لو كانا يرفعان العلم العثماني واغراقهما فورا(٤٥).

من الانصاف ان نذكر ان سفراء الحلفاء في الاستانة كانوا يعملون المستحيل لحمل العثمانيون للوقوف على الحياد مقابل المحافظة على سلامة اراضيها بعد الحرب، ولكنهم لم ينجحوا في ذلك، لان الانكليز لم يكونوا يعرفون بالاتفاق السري الالماني العثماني في ٢ اب ١٩١٤م الا اخيرا، واعتبروا هذا الاتفاق خديعة لهم، لذلك عندما بدات الاضطرابات الداخلية في اليونان لم يكن بامكان الانكليز الاعتماد على مساعدة العثمانيين، وزاد على ذلك ان بلغاريا عادت واتفقت مع اعدائها العثمانيين، ولما حاولت رومانيا الانظمام الى الحلفاء سحقت من قبل المانيا، وبعد فشل الالمان في معركة المارن واوقف زحفهم في ٦ ايلول ١٩١٤

بانتصار الحلفاء بقيادة الجنرال الفرنسي ((جوفر)) هدأت الحالة في البلقان قليلا، الامر الذي ترك تاثيرا مباشرا على سير العمليات الحربية في الجبهة الغربية[٤٦].

وبعد حسم معركة المارن اخذ بعض الوزراء العثمانيين وعلى رأسهم انور وطلعت باشا يطلبون من الصحف العثمانية الاقلال من اهمية المعركة حتى لا يتاثر الراي العام العثماني بانتصارات الحلفاء، لذلك اخذوا يعملون على اجبار الوزارة العثمانية على خوض غمار الحرب وجعلها امام الامر الواقع، سيما وان الدولة العثمانية كانت تعاني الكثير من القيود التي فرضت عليها من جراء نظام الامتيازات الاجنبية والحقوق الخاصة الممنوحة للدول الاجنبية، كما ان سيادتها على المضايق كانت منقوصة بسبب الاتفاقات التي فرضت عليها ايام ضعفها وخاصة في فترة حربها مع محمد علي باشا واستغلال روسيا لهذه الحرب، لذلك ارادت الدولة العثمانية ان تحقق اهداف عديدة من دخولها الحرب الى جانب المانيا اهمها:

١- تحرير المناطق التي يقطنها الاتراك في روسيا (القفقاس وتركستان) وتوحيدها.
٢- استرجاع المقاطعات والولايات العثمانية التي خرجت من يدها ووقعت تحت السيطرة الاجنبية مثل مصر وقبرص وربما (تونس وليبيا والجزائر) على الرغم من ان ولائها كان اسميا.
٣- تحرير الامبراطورية العثمانية من الوصاية الاجنبية ((الامتيازات الاجنبية)).
٤- ممارسة سياسة التتريك في جميع انحاء الدولة العثمانية بعد ان ارتفعت بعض الاصوات القومية مطالبة بالاستقلال الذاتي او الاستقلال التام.
٥- اعادة ترسيخ سلطة الخلافة على جميع العالم الاسلامي[٤٧].

لا شك ان وجود الطرادين الالمانيين عند العثمانيين قد مكن انور باشا والحزب العسكري المؤيد لدخول الدولة العثمانية الحرب، ومهد الطريق لدعاة الحرب لاجبار الحكومة العثمانية على تنفيذ نصوص المعاهدة الالمانية (٢ اب ١٩١٤) وهذا لا يكون الا ان تكون هناك ذريعة تجبر الحكومة العثمانية على ذلك، ولتحقيق هذا الهدف لا بد من اشتباك الاسطولين العثماني والروسي في البحر الاسود، ومن المعلوم ان الحكومة الالمانية قد قررت في هذه الفترة قيام الاسطول العثماني بحركة حربية بحرية في البحر الاسود، عندها كتب المستشار الالماني ((بتمانهوليغ)) الى السفير الالماني في الاستانة بتاريخ ١٥ أيلول برقية مستعجلة في هذا الشأن، وفي ٢٠ أيلول اخذ انور باشا يصر على خروج الاسطول العثماني

الى البحر الاسود، وفي ٢١ أيلول بلَغ جمال باشا خبرا مفاده ان الاميرال ((سوشون)) خرج بالاسطول العثماني الى البحر الاسود، فأبرق اليه يأمره بالعودة فرفض الاميرال الامر اولا، لكن جمال باشا اصدر اليه امرا شديدا مفاده مكرها(٤٨).

وعلى اثر ذلك ذهب الاميرال سوشون الى مقابلة الصدر الاعظم وابلغه انه عازم على الخروج بالاسطول العثماني الى البحر الاسود، وشكا له معارضة وزير البحرية جمال باشا هذا الامر، وذكر للصدر الاعظم ان الوقت مناسب للقيام بمناورة حربية في البحر الاسود وانه سيخرج صباح الغد، ولكن الصدر الاعظم رد عليه وقال كيف تخرج ونحن لم نأمرك بذلك، فأجابه الاميرال بصراحة عندي أمر بالخروج من القيصر الالماني، عندها أصدر جمال باشا أمرا شديدا وحازما للامير السوشون يأمره بعدم الخروج وذهب الى القيصر يطلب منه تحديد صلاحيات الاميرال الالماني(٤٩). وبعد ذلك طلب الصدر الاعظم السفير الالماني وبحث معة الامر، لكن السفير الالماني ارسل كتابا رسميا في ٢٩ ايلول قال فيه ((ان الاميرال سوشون موجود هنا بصفة قائد لقوات الدول البحرية المتفقة .... وليس لوزير البحرية العثمانية الحق في ارسال الاوامر له مباشرة، لانه صاحب الكلمة العليا في ادارة حركة الاسطول البحري وفقا لما يريد ويشاء اما اذا نضرنا في اعتراضكم القائل ان الاميرال سوشون يستغل السلطات والصلاحيات المعطاة له بالاضرار بالمصالح العثمانية فلا يمكنه عمل ذلك لانه مقيد بأوامر صاحب الجلاله القيصر الالماني، وانه ينفذ المنهاج الذي رسمه الاتفاق السياسي بين المانيا والدولة العثمانية، كما ان الاميرال سوشون لا يقوم باي عمل دون اخذ موافقتي التامة .... كما اني اتعهد بعدم إعطائه أي أمر يضر بمصلحة السلطنة او لا يكون موافقا لروح الاتفاقية بيننا، وذلك بعد استشارة فخامتكم والاتفاق معكم في أي أمر))(٥٠).

ويبدوا ان الالمان قبلوا اخيرا بتاجيل اخراج الاسطول العثماني الى البحر الاسود ريثما تهداء العاصفة التي اثارتها رغبة الاميرال بالخروج الى البحر الاسود.

لقد سعى انور باشا وزملاؤه دعاة الحرب الى استفزاز بريطانيا وحليفاتها، فقد جرى الغاء الامتيازات الاجنبية، وفي اول تشرين الاول قررت الحكومة العثمانية زيادة الرسوم الكمركية التي كان لا يسمح ان تزيدها فوق مستوى تعينه الاتفاقات الدولية، كما جرى الاستيلاء على دور البريد الاجنبي، وتقرر خضوع الاجانب في الدولة العثمانية للقوانين السائدة كما تقررت محاكمتهم امام المحاكم العثمانية بدلا من محاكمهم الخاصة المعروفة

بالمحاكم الاجنبية، كما أصدر انور باشا أمراً باغلاق المضايق العثمانية في وجه السفن الاجنبية ووضع الالغام فيه وذلك رغبة منه في الحيلولة دون تدخل الحلفاء، ومن المعلوم ان في ٢١ تشرين الثاني كان قد أصدر انور باشا أمرا للاسطول العثماني في البحر الاسود الذي يتولى قيادته الاميرال سوشون ببدء الاعمال العسكرية ضد روسيا(٥١).

وفي هذه الاثناء كانت الحكومة العثمانية في ضائقة مالية شديدة، فطلبت من المانيا اقراضها مبلغ خمسة ملايين ليرة ذهب تدفع على شكل أقساط مختلفة فوافقت المانيا بشرط ان تتعهد الدولة العثمانية على الدخول في الحرب الى جانبها، فوافقت الحكومة العثمانية على شروط الالمان فوصلت الاموال الى الاستانة بتاريخ ٢٣ تشرين الاول على شكل سبائك ذهبية بقيمة خمسة مليون ليرة(٥٢).

وفي ٢٥ تشرين الاول عقد مجلس الحرب جلسة خاصة ونظر في اقتراح انور باشا الذي طلب فيه دخول الدولة العثمانية الحرب الى جانب المانيا، وقد أنقسم المجلس الى جبهتين بعضهم أيد انور باشا وخليل بك، واما الآخرون فطلبوا التريث حتى ولو مدة ستة اشهر اخرى، عندها قام انور باشا وقال: ليسبامكاني الوقوف في وجه الاميرال سوشون ومنعه من الخروج بالاسطول العثماني الى البحر الاسود خصوصا وانه هدد بالخروج قبل هذا الوقت، عندها اعترض وزير البحرية جمال باشا وذكر انه المسؤول عن الاسطول البحري وليس انور باشا، فحدث بينهما خلاف حاد، الا ان الوزراء تدخلوا لحل المشكلة واصدروا قراراً وضعوا فيه الاسطول العثماني تحت تصرف وزارة البحرية وقائد قوات الجيش العثماني انور باشا والحقيقة ان معظم الوزراء ايدوا جمال باشا فيما يرنوا اليه، وفي اليوم نفسه ارسل وزير الحربية انور باشا الذي هو وكيل القائد العام أوامر سرية وسريعة الى جميع قادة القطع البحرية العثمانية يأمرهم فيها بأنفاذ أوامر الاميرال سوشون دون قيد او شرط(٥٣).

وفي مساء الثلاثاء ٢٧ تشرين الاول صدرت الاوامر الى بعض قطع الاسطول العثماني بالابحار الى البحر الاسود الذي يتكون من الطراد غوبن، برسلو، غيرتوطنية، نمونهصميت، صامسون، برق، سطوت، وطاشور .... وعندما وصل الاسطول العثماني البحر الاسود استدعى الاميرال سوشون جميع قادة القطع الحربية وسلم كل واحد منهم أمراً خطيا في ظرف مختوم وامرهم بتنفيذ ما فيه بعد سير الاسطول، بعدها تفرق الاسطول العثماني الى اقساما فكانت صامسون وطاشور مع الطراد غوبن، وفي اليوم الثاني كانت هذه

القطع على مقربة من ميناء سباسبتول الروسي، وفي يوم ٣٠/٢٩ تشرين الاول هاجمت هذه القوة الميناء في حين القطع الاخرى بقيادة برسلو تهاجم نوفوروسك واوديسا، فاغرقت مركبا واحرقت مستودعات البترول، واحدثت في المرفأ أضراراً كبيرة جداً، علماً ان روسيا لا تزال تعاني بشكل كبير وتجد صعوبة في رد القوات الالمانية التي كانت توجه لها الضربات القوية الواحدة بعد الاخرى ليزداد موقفها الحربي حرجاً واضطراباً بعد مهاجمة الاسطول العثماني لها واقفال الدردنيل، اما البلطيق فكان مغلقا بسبب سيطرة الالمان عليه فعزلت عن حلفائها واصبحت تحارب لوحدها مما افقدها توازنها وادى الى ضعفها، وعلى اثر ذلك طلب سفير روسيا في الاستانة جواز سفره حالاً[٥٤].

ولكن من الانصاف فأن هذه الامور كانت تحدث والصدر الاعظم لا يعلم شيئاً، لان هذه المعركة تم الاتفاق عليها بين انور باشا والاميرال سوشون منذ ٢٢ تشرين الاول وذكر هذا الامر السياسي التركي احمد رؤوف بك في مذكراته، وقال انه في ٣٠/٢٩ تشرين الاول بدات دوائر العاصمة العثمانية بحركة غير اعتيادية جعلت كثير من الموظفين يتوقفون عن اعمالهم وياخذون باطراف الحديث فيما بينهم، وذكر ان وزير الاشغال جوروكصولو محمود باشا جاء لمقابلة الصدر الاعظم بعد ان كان في اجازة رسمية، وبعد المقابلة خرج ليقابله احد الضباط ويقول له ماهي اخبار فوزنا في معركة البحر الاسود فاستغرب الوزير لانه لم يعلم شيئا من الصدر الاعظم وقرر مقابلة الصدر الاعظم مرة اخرى لكنه لم يوفق في ذلك، لان دولته اعتصم في منزله يلتمس الراحة وابى ان يقابل احد لانه كان يستعد لمراسم اليوم التالي الذي هو اول ايام عيد الاضحى، غير ان السفير البريطاني (السيرلويس مالت) زاره في منزله وقال له ((ليس بامكانكم يا دولة الباشا السيطرة على الحالة الحاضرة، وان في الوزارة العثمانية اختلافاً عظيماً في الرأي، فلو قام الان وزير الحربية وارسل قوة من الجيش الى مصر، لما كان بامكانكم ان تمنعوه عن تنفيذ عزمه)) من المؤكد ان الصدر الاعظم كان يجهل خبر المعركة التي كانت تدور بين الاسطول العثماني والروسي في الوقت الذي كان يتحدث معه السفير البريطاني، فما كان من الصدر الاعظم الا ان يؤكد رغبته في الحياد التام وان احداً من الوزراء لا يستطيع عمل شيء قبل ان يعرض عليه ألامر[٥٥]، فلما خرج السفير البريطاني أُخبر الصدر الاعظم بضرورة تواجده في مكتبه، عندها اخبره انور باشا بالمعركة التي حصلت بين الاسطول العثماني والاسطول الروسي مما اثار غضب الصدر الاعظم، وبعد ان

جاءت البرقيات التي تؤكد ما حدث فعلا اخذ الوزراء ينددون بما حدث وبعواقب هذا العمل وخطره على الدولة العثمانية، وقال الصدر الاعظم الذي هو من انصار السلم انه يرى من الخطأ دخول الدولة العثمانية الحرب التي سوف تكون وخيمة عليها، لكن انور باشا دافع عن نفسه وادعى انه لا يعلم شيئا عما جرى، اما طلعت باشا فذكر ان الاميرال سوشون هو من فعل ذلك، وفي نفس اليوم عقد مجلس الوزراء جلسة خطيرة تبين ان اكثرية الوزراء يعارضون دخول دولتهم الحرب في الوقت الحاضر، فمنهم من اراد الحياد التام طيلة مدة الحرب، اما انور وطلعت فكانا يؤيدان دخول الدولة العثمانية الحرب ولكنهما لم يفصحا عن رأيهما، اما الصدر الاعظم فاراد ان ترسل مذكرة الى سفراء الدول بان تسحب فيه الدولة العثمانية اسطولها الى المضايق وتسحب روسيا اسطولها من مرافئها وان تترك قيادة الاسطول العثماني الى ضباط اتراك وليس المان، الا ان جمال باشا اجاب انه لا يوجد عنده ضباط يصلحون لقيادة سفن صغيرة حتى يجعلهم يقودون سفناً حربية كبيرة، وذكر ان الحلفاء يريدون منا ارسال قادة وضباط وبحارة الطرادين الى المانيا، ولو فعلنا ذلك فهل هناك ما يمنع هؤلاء فيحولون قذائف مدافعهم الى العاصمة العثمانية(٥٦).

وفي الوقت نفسه كانت الجيوش العثمانية تتحشد على حدود مصر، وزاد الموقف قلقاً عندما سأل وزير الاشغال عن السبب في حشد الجيوش على حدود مصر فأجاب انور باشا قال انه سوف يحتل مصر في مدة قريبة، عندها أيقن الجميع ان انور يلعب بالنار، فأجلت الجلسة الى المساء واستؤنفت في بيت شيخ الاسلام خيري افندي الذي لم يحضر اليها دعاة الحرب انور وطلعت وجمال باشا، اما سليمان البستاني وزير التجارة اقترح ارسال مذكرة الى الحلفاء تؤكد حياد الدولة العثمانية، ولكن اقتراحه لم يحصل على تأييد الوزراء اما وزير الداخلية فأراد اخذ رأي سفير الدولة العثمانية في برلين فقبل الوزراء بذلك وتأجلت الجلسة الى موعد آخر، لكن سفراء الحلفاء رفضوا الانتضار وتهيأوا لمغادرة الاستانة، بعدها استدعي الاميرال سوشون الذي حاول ايهام الوزراء بان الروس هم الذين اعتدوا على سفنه وهي داخل المضايق، فأضطر للخروج من مكانه ومطاردتهم والدفاع عن الاسطول العثماني لكن المعلومات التي تلقاها الصدر الاعظم تؤيد عكس ذلك، فقرر تقديم استقالته من منصبه وكتب استقالته على ان يعرضها على ادارة حزب الاتحاد والترقي عند اجتماعه فلما ذاع خبر عزم الصدر الاعظم على الاستقالة اخذ كل من الثلاثة انور وطلعت وجمال يعمل للوصول الى

المركز العالي .... الا ان رجال حزب الاتحاد والترقي ادركوا ان هذه الاستقالة ستؤدي الى اختلاف عظيم بين كبار رجال الحزب فقرروا عمل المستحيل لحمل الصدر الاعظم للعدول عن الاستقالة(٥٧).

عندها رضي الصدر الاعظم بالبقاء في منصبه وعادت قطع الاسطول العثماني في ٣١ تشرين الاول الى الاستانة وبعدها اصبحت الدولة العثمانية داخلة في الحرب العظمى في وقت كانت ضعيفة ومفككة يسودها الاضطراب، وفي نفس اليوم اعلن المقيم البريطاني في الخليج العربي ((ان تركيا دخلت الحرب بتحريض من المانيا وان هذه الحرب ستكون نهايتها اذ يبدوا ان الامبراطورية العثمانية لا يمكن بقاؤها)) ونتيجة لذلك استاء عدد من الوزراء فقدموا استقالاتهم وهم كل من سليمان البستاني وزير التجارة واسكان افندي، شورك سولو، محمود باشا، وعلى اثر ذلك وجهت انكلترا انذاراً نهائيا للدولة العثمانية طلبت فيه الاعتذار عن ضرب الموانئ الروسية كما ارادت تجريد الطرادين الالمانيين من بحارتها واخراج افراد البعثة الالمانية البحرية والحربية من وظائفهم خلال (١٢ساعة) اثنى عشر ساعة، كما ابرقت الاميرالية الانكليزية الى كل البوارج والسفن الحربية نبأ هذا الانذار فطلبت منها ان تكون على استعداد للعمل حالاً بعد انتهاء مدة الانذار(٥٨)، فكانت الاحداث تسير بسرعة فقد اعلنت روسيا سحب سفيرها من الاستانة فغادرها في اليوم الاول من تشرين الثاني وفي اليوم الثاني غادر سفير فرنسا وبريطانيا الاستانة. اما الدولة العثمانية فقد اعلنت دخولها الحرب العالمية الاولى في اليوم الاول من تشرين الثاني عام ١٩١٤م بجانب المانيا والنمسا والمجر وبانضمام الدولة العثمانية الى المانيا كانت قد اتفقت على تنفيذ خطة عسكرية للسيطرة على مداخل البحر الاحمر ومضيق عدن(٥٩).

وفي ٤ تشرين الثاني اعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية وفي اليوم الذي تلاه أعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على الدولة العثمانية كما اعلنت بريطانيا حمايتها على مصر وضمها لجزيرة قبرص، وقد نشرت الصحف المصرية في ١٩١٤/١١/٧ اعلان الحرب الذي نصه ((انا اللفتنت جنرال جون جرنفلمكسول قائد جيوش صاحب الجلالة البريطانية في القطر المصري قد كلف بان أعلن بأنه من يوم ٥ تشرين الثاني اصبحت بريطانيا العظمى وتركيا في حالة حرب))(٦٠)، وبدأت أساطيل الحلفاء بمهاجمة قلاع الدردنيل الخارجية كما قصفت البحرية البريطانية ميناء العقبة وفي ١١ تشرين الثاني اعلنت الدولة العثمانية الحرب على

بريطانيا وفرنسا، وهذا يبدوا ان اليوم الاول من تشرين الثاني ١٩١٤م كان يوماً حاسماً في التاريخ الاوربي كما كان يوم ١٢ من ايلول عندما اوقف الزحف الالماني في معركة المارن فكلا التاريخين قد حسما امبراطوريات كان لها شأن كبير في العالم[٦١].

لقد كانت الحكومة البريطانية ترسل الجنود من استراليا وغيرها من الممالك الانكليزية الى مصر لصد اي هجوم عثماني، وانتهزت بريطانيا انضمام الدولة العثمانية الى جانب دول الوسط لتعلن ان هذا اعتداء على المصالح البريطانية، وان من واجب بريطانيا الدفاع عن مصر وحريتها[٦٢]، وقد اصدر القائد العام البريطاني في مصر بياناً اعلن فيه انضمام الدولة العثمانية الى جانب المانيا ضد الحلفاء ثم ختم بيانه بهذه العبارات ((ولعلم بريطانيا العظمى بما للسلطان بصفة الدينية من الاحترام عند مسلمي القطر المصري، فقد اخذت بريطانيا العظمى على عاتقها جميع اعباء هذه الحرب ،دون ان تطلب من الشعب المصري اية مساعدة، ولكنها مقابل ذلك تنتظر من الاهالي وتطلب اليهم الامتناع عن اي عمل من شأنه عرقلة حركات جيوشها او اي مساعدة تقدم لاعدائها))[٦٣].

ومن الجدير بالذكر ان بريطانيا احتلت مصر عام ١٨٨٢م بحجة حماية ارواح الاجانب وقالوا ان احتلالهم مؤقت فقام البريطانيون بعزل خديوي مصر عباس حلمي الثاني ١٨٩٢/١٩١٤ المعروف بنزعته الوطنية ومعروفاً ميوله للعثمانيين منتهزين فرصة وجوده في الدولة العثمانية ونصبوا محله الامير حسين كامل ومنحته لقب السلطان، اذ نص الاعلان ((بالنظر لاقدام سمو عباس حلمي باشا خديوي مصر السابق على الانضمام الى اعداء الملك قد رأت حكومة جلالته خلعه من منصب الخديوية وقد عرض هذا المنصب السامي مع لقب سلطان مصر على سمو الامير حسين كامل باشا اكبر الامراء الموجودين من سلالة محمد علي فقبله))[٦٤] وبعد لك اعلنوا حمايتهم على مصر متخذين منها قاعدة عسكرية لحركاتهم في الشرق العربي مستغلين موقعها السوقي الخطير، كما اعلنت ضمها جزيرة قبرص، لكي تؤمن مدخل القناة من الشمال[٦٥].

اما اليونان فقد كانت منقسمة بسبب الخلاف الذي كان قائما فيها بين الملك قسطنطين الذي كان يؤيد الالمان ويعود ذلك لصلة القرابة بينهما حيث انه متزوج من شقيقة الامبراطور الالماني وليم الثاني وبين رئيس الوزراء فنزيلوس (Venezilos) الذي يؤيد الحلفاء، وصربيا التي كانت لا تزال تقاوم النمساويين، الا ان رومانيا وبلغاريا لزمتا الحياد

وكل واحد منهم يراقب الاخر، هذا هو الموقف السياسي والعسكري في الدردنيل وممالك الدولة العثمانية في يوم دخولها الحرب العالمية الاولى وانضمامها الى المانيا، فاصبح العداء صريحا بينها وبين الحلفاء فاصبح الموقف الحربي بين جبهتين اساسيتين هما الجبهة التي عرفت تاريخيا بدول الوفاق الودي (الحلفاء) وكانت تضم فرنسا، انكلترا، روسيا اساسا وانضمت اليها فيما بعد مجموعة كبيرة من الدول تحركها في ذلك عوامل ونوازع مختلفة، اما الجهة الثانية فقد عرفت تاريخيا بدول الوسط وكانت تتالف من المانيا والنمسا والمجر والدولة العثمانية وبلغاريا بزعامة الاولى[٦٦].

الخاتمة

ان من اسباب دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى بعضها يعود الى عوامل ذاتية حيث ان كل دولة كانت تطمح في تحقيق بعض المصالح وترى ان ذلك لا يتم الا عن طريق خوضها الحرب الى جانب هذا الفريق او ذاك، والبعض الاخر يعود الى عوامل تتعلق بالقدرة الدبلوماسية لدى كل من الجبهتين في جر هذه الدولة او تلك الى جانبها سواء عن طريق الترغيب او الترهيب[٦٧].

ونتيجة لاطماع روسيا القيصرية وبريطانيا وفرنسا في اراضي الدولة العثمانية والتي ظهرت بوضوح في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، اتجهت الدولة العثمانية الى التعاون مع الالمان اعتقادا منها ان الالمان اقل خطرا من الحلفاء على سلامة الدولة العثمانية، حيث انعكست نتائج هذا التعاون على الجيش العثماني حيث اعيد تنظيمه وترتيبه على ايدي مجموعة من الخبراء الالمان يقدر باثنين واربعين ضابطا برئاسة الجنرال ((ليمان فون ساندرز))[٦٨].

وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى كانت الدولة العثمانية والمانيا تربطهما علاقة جيدة، ومما زاد في تطور هذه العلاقة هو ثقة القادة العثمانيين وعلى راسهم انور باشا بقوة الجيش الالماني وقدرته على تحقيق النصر وكان التغلغل الالماني بلغ اشده، لذلك لم تجد المانيا عناء كبيرا في اقناع الدولة العثمانية على توقيع معاهدة التحالف في ٢ اب ١٩١٤م ومن بعدها بدأت الدولة العثمانية تستعد لخوض غمار الحرب[٦٩].

وحينما نشبت الحرب العظمى وشاركت الدولة العثمانية فيها اعلنت انضمامها الى المانيا، ونتيجة للخسائر التي منيت فيها تقلصت اقليميا، اذ لم يبقى من ممتلكاتها الاوربية



سوى تراقيا الشرقية، اما مصر فهي في حكم المنفصل عن الدولة العثمانية والتي اعلنت بريطانية الحماية عليها فور اعلان بريطانيا وفرنسا الحرب على الدولة العثمانية واعلان الدولة العثمانية الحرب على الحلفاء.

اما داخليا فقد كانت الاحوال بعيدة عن الاطمئنان اذ كانت الاقليات الموجودة في الامبراطورية العثمانية حانقة وولائها مشكوك فيه، كما ان العرب جانحين الى القومية، وقد عجز القادة العثمانيين عن تنفيذ الاصلاحات التي وعدوا بها الشعوب لذلك كانت سيطرة الالمان واضحة مما سهل عليها جر الدولة العثمانية الى دخول الحرب التي عادت عليها وعلى سائر الشرق الاوسط بعواقب كبيرة(٧٠).

ومن الجدير بالذكر ان السياسي التركي علي فؤاد بك ذكر ان السلطة في الدولة العثمانية كانت في قبضة رجل واحد، اي انها في قبضة الاتحاديين وكان الاتحاديون قبضة المركز العام للحزب وكان المركز العام في قبضة الحكام الثلاث وكان الثلاثة في قبضة انور باشا يسوقهم سوقا عنيفا، وكان ميله للالمان غير مشكوك فيه، اما مقام السلطنة والقوى التشريعية والحكومة الرسمية والرأي العام والاتحاد والترقي فلم تكن غير اشباح ماثلة وخيالات مصورة(٧١).

بعد انهيار الدولة العثمانية بقي السلطان في القسطنطينية على الرغم من انها كانت تحت سلطة احتلال الحلفاء الا انه لم يغادرها، وبذلك نشطت الحركة القومية التركية بزعامة المجلس القومي الذي انبثقت عنه وثيقة الميثاق القومي عام ١٩١٩م التي عملت على تأمين استقلال الشعب التركي، فنشطت حركة المقاومة التركية في بلاد الأناضول بزعامة مصطفى كمال الذي لعب دورا كبيرا في إعلان الجمهورية التركية في نيسان عام ١٩٢٠م وبذلك اقتصرت الدولة العثمانية على منطقة الأناضول تقريبا مع استانبول وما جاورها في أوروبا واصبحت تسمى تركيا بعدما انفصلت عنها البلاد العربية التي كانت تحت سيطرتها(٧٢)، وبذلك اصبحت الجمهورية التركية بدلا من الدولة العثمانية.

هوامش البحث

١-جورج لنشوفسكي،الشرق الاوسط في الشؤون العالمية،ترجمة جعفر الخياط،ط١،بغداد،١٩٦٤،ص١٩؛د.ابراهيم خليل احمد،د.خليل علي مراد،ايران وتركيا دراسة في تاريخ الحديث والمعاصر،دار الكتب،الموصل،١٩٩٢،ص٢١٩.

٢-محمد مصطفى صفوت،المسألة الشرقية ومؤتمر باريس،معهد الدراسات العالمية ،مصر،١٩٥٨،ص٤٢١؛د.عز الدين فودة،قضية القدس في محيط العلاقات الدولية،بيروت،١٩٦٩،ص٨٠ .

٣-جورج لنشوفسكي،المصدر السابق،ص٣٠.

٤-Colcnel sir c.M.watson,the story of Jerusalem,1912,p.42؛د.عزالدينفودة،المصدر السابق،ص٨٦.

٥-انظرمحمود صالح منسي،قناة السويسبين اتباع سانسيمونوفرديناند ديليسبس،القاهرة،١٩٧١،ص٣٢-٣٣؛د.ابراهيم خليل احمد،تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني،الموصل،١٩٨٢،ص١٧٧-١٨٧؛محمد فؤاد شكري واخرون،الحملةالفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر ،القاهرة،لا،ت،ص٢٦-٢٧.

٦-الموسوعة التاريخية المصورة،الحرب العالمية الاولى،١٩١٤-١٩١٨،ج٥،بيروت،١٩٦٢،ص١٦٢.

٧-الموسوعة التاريخية المصورة،ج٥،المصدر السابق،ص١٦٢؛.TaylerA-J-p،الصراع على السيادة في اوربا،ترجمة،د.كاظمنعمة،د.يوئيل يوسف عزيز،المكتبة الوطنية الموصل،١٩٨٠،ص٥٥٩.

٨-Tayler.A,J,p،المصدر السابق،ص٥٦٠-٥٦١؛انظر تفاصيل معاهدة بخارست،د.محمد محمد صالح،واخرون،اوربا في القرن التاسع عشر،مطبعة جامعة بغداد،بغداد،١٩٥٨،ص٣٨٥-٣٨٦.

٩-لوكاز هيرزويز،المانياالهتلرية والمشرق العربي،ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى،دارالمعارف،مصر،١٩٧١،ص١٢.

١٠-Rene pinon,LEurope EtLemipre ottoman,paris,1909,pp.554-556؛عز الدين فودة،المصدر السابق،ص١١٥.

١١-د.عبد الوهاب الكيالي،الموجز في تاريخ فلسطين الحديث،مطبعة الحرية،بيروت،١٩٧٤،ص١٦-١٧.

١٢-لوكاز،المصدر السابق،ص١٢؛د.عبد الوهاب الكيالي،المصدر السابق،ص١٦-١٧.

١٣-عز الدين فودة،المصدر السابق،ص٨٠.

١٤-ساطع الحصري،البلاد العربية والدولة العثمانية،ط٢،دار العلم للملايين،بيروت،١٩٦٠، ص٢٠١-٢٠٢؛عز الدين فودة،المصدر السابق،ص٨٤؛د.فاروق عثمان اباضة،عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر ١٨٣٩-١٩١٨،الهيئة المصرية للكتاب،مصر،١٩٧٦،ص٥٥٤.

١٥-د.عز الدين فودة،المصدر السابق،ص١٤٤؛لوكاز،المصدر السابق،ص١٣.

١٦-د.عز الدين فودة،المصدر نفسه،ص٨٢.

١٧-د.فاروق عثمان اباضة،المصدر السابق،ص٥٥٤؛الموسوعة التاريخية المصورة،ج٥،ص١٦٧.

١٨-د.فاروق عثمان اباضة، المصدر السابق،ص٥٥٥,٥٥٤.

١٩- د.علي ابراهيم عبده،مصر وافريقيا في العصر الحديث،ط١،دار القلم،القاهرة،١٩٦٢،ص١٤٦؛ونستون تشرشل،الموسوعة التاريخية المصورة،ج٥،المصدر السابق،ص١٦٧؛د.جلال يحيى،تاريخ المغرب الكبير،القاهرة،١٩٦٦،ص٧٤١.

٢٠-هـ.أ.ل فشر،تاريخاوربا في العصر الحديث١٧٨٩-١٩٥٠،دار المعارف،مصر،١٩٧٦،ص٥٠٤؛احمد عبد الرحيم مصطفى،المصدر السابق،ص٢٤٧-٢٥٤ ؛حنا عزوبهنان،التطورات السياسية في تركيا ١٩١٩-١٩٢٣،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الاداب،جامعة بغداد،١٩٨٩،ص١١.

٢١- احمد عبد الرحيم مصطفى،المصدر السابق،ص٢٤٧-٢٥٤؛د.ابراهيم خليل احمد وخليل علي مراد،المصدر السابق،ص٢٢٧.

٢٢-الموسوعة التاريخية المصورة،ج٥،المصدر السابق،ص١٦٨ ؛ لوكاز،المصدر السابق،ص١٢.

٢٣- الموسوعة التاريخية المصورة،ج٥،المصدر نفسه،ص١٦٨ ؛ A.J.P Tayler،المصدر السابق،ص٥٦٩.

٢٤-انظر مذكرات الجنرال علي فؤادبك،كيف غزونا مصر،نقله الى العربية نجيب الارمنازي، دار الكتاب الحديث،بيروت،١٩٦٢،ص٢٠؛شكري محمود نديم،حرب فلسطين١٩١٤-١٩١٨،دراسات علمية،مكتبة الحياة،بيروت،١٩٦٥،ص٢٢؛ A.J.P Tayler،المصدر السابق،ص٥٦٩-٥٧٠.

٢٥- الموسوعة التاريخية المصورة،ج٥،المصدر السابق،ص١٧٨؛ A.J.P Tayler،المصدر السابق،ص٥٧٠.

٢٦- الموسوعة التاريخية المصورة،ج٥،المصدر السابق،ص١٧٩,١٧٨.

٢٧-الموسوعة التاريخية المصورة،المصدر نفسه،ص١٧٩.

٢٨-د.فاضل حسين و د.كاظم هاشم نعمة،التاريخ الاوربي الحديث١٨١٥-١٩٣٩،ط١،دار الكتب الموصل،١٩٨٢،ص١٧٥.

٢٩-الموسوعة التاريخية المصورة،المصدر السابق،ص١٨٠.

٣٠- Bremond,E,yemen et saoudia Charles lavauzellet.cie.paris,1ere ed.1937,p,78؛عمر الديراوي،الحرب العالمية الاولى عرض مصور،ط٢،دار العلم للملايين،بيروت،١٩٦٦،ص٣٢.

٣١-الموسوعة التاريخية المصورة،المصدر السابق،ج٥،المصدر السابق،ص١٨١.

٣٢-لوكاز،المصدر السابق،ص١٦-١٧؛د.رياض الصمد،العلاقات الدولية في القرن العشرين،ج١،المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،لا،ت، ص٣٣.

٣٣-الموسوعة التاريخية المصورة،ج٥،المصدر السابق،ص١٨٢؛عمر الديراوي،المصدر السابق،ص٣٢.

٣٤- Louis,L.snyder.hstorical document sof world was 1,new jersey,1958,

pp.86-87؛د.ابراهيم خليل احمد،تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر،مطبعة دار الكتب،الموصل،١٩٨٧،ص٨٩؛د.ابراهيم خليل احمد و خليل علي مراد،المصدر السابق،ص٢٢٥.

٣٥-محمد مصطفى صفوت،الاحتلال الانكليزي لمصر وموقف الدول الكبرى ازائها،القاهرة،١٩٥٢،ص٢٨١.

٣٦-جورج لنشوفسكي،المصدر السابق،ص٦٤.

٣٧-A.J.P Tayler ،المصدر السابق،ص٥٩٩.

٣٨- الموسوعة التاريخية المصورة،ج٥،المصدر السابق،ص١٨٤؛ عمر الديراوي،المصدر السابق،ص٦٢؛ A.J.P Tayler،المصدر السابق،ص٥٩٩.

٣٩- الموسوعة التاريخية المصورة،ج٥،المصدر السابق،ص١٨٤-١٦٣؛ هـ.أ.لفشر،المصدر السابق،ص٥٠٣.

٤٠- الموسوعة التاريخية المصورة، الحرب العالمية الاولى، ج٦،بيروت،١٩٦٢،ص٢٠٦؛ A.J.P Tayler،المصدر السابق،ص٦٠٠.

٤١-A.J.P Tayler ،المصدر السابق،ص٥٥٩؛ الموسوعة التاريخية المصورة،ج٥،المصدر السابق،ص١٦٨.

٤٢-A.J.P Tayler ،المصدر السابق،ص٥٥٩,٥٤٨؛ الموسوعة التاريخية المصورة، ج٥،المصدر السابق،ص١٦٩.

٤٣- جورج لنشوفسكي،المصدر السابق،ص٧٢؛احمد عبد الرحيم مصطفى،في اصول التاريخ العثماني،بيروت،١٩٨٢،ص٢٨٨؛د.رياض الصمد،المصدر السابق،ص٣٤.

٤٤- الموسوعة التاريخية المصورة، ج٥،المصدر السابق،ص١٨٧؛علي فؤادبك،المصدر السابق،ص٣٤-٣٩؛ جورج لنشوفسكي،المصدر السابق،ص٧٢-٧٣.

٤٥- الموسوعة التاريخية المصورة، ج٥،المصدر السابق،ص١٨٦؛ عمر الديراوي،المصدر السابق،ص٣٩؛عبد الوهاب القيسي وآخرون،تاريخ العالم الحديث،١٩١٤-١٩٤٥،دار الكتب،الموصل،١٩٨٣،ص٢٠,١٩؛A.J.P Tayler ،المصدر السابق،ص٥٩٥.

٤٦- عمر الديراوي،المصدر السابق،ص٣٩؛A.J.P Tayler ،المصدر السابق،ص٦٠٠؛ ب.هـ ليدل هارت،الاستراتيجية وتاريخها في العالم،ترجمة الهيثم الايوبي،دار الطليعة،بيروت،١٩٦٧، ص٢٢٦,٢٢٤؛ عبد الوهاب القيسي وآخرون،المصدر السابق،ص٢٠,١٩.

٤٧- جورج لنشوفسكي،المصدر السابق،ص٧٢؛ ب.هـ ليدل هارت،المصدر السابق،ص٢٢٤-٢٢٥-٢٢٦؛ عبد الوهاب القيسي وآخرون،المصدر السابق،ص٢٢؛د.رياضالصمد،المصدر السابق،ص٣٤-٣٥.

٤٨- الموسوعة التاريخية المصورة، ج٥،المصدر السابق،ص١٨٨؛ د.رياضالصمد،المصدر السابق،ص٣٤.

٤٩- الموسوعة التاريخية المصورة، ج٥،المصدر السابق،ص١٩٤.

٥٠- الموسوعة التاريخية المصورة، ج٥،المصدرنفسه،ص١٩٥.

٥١-بيير رنوفن،تاريخ القرن العشرين،تعريب.نور الدين حاطوم،دار الفكر الحديث،لبنان،١٩٦٥،ص٤٧.

٥٢- الموسوعة التاريخية المصورة، ج٥،المصدر السابق،ص١٩١.

٥٣-A.J.P Tayler ،المصدر السابق،ص٥٦٩-٥٧٠؛ الموسوعة التاريخية المصورة، ج٥،المصدر السابق،ص١٩٢.

٥٤-د.فاروق عثمان اباضة،المصدر السابق،ص٥٦٢؛ د.فاضلحسين.كاظم هاشم نعمة، المصدر السابق،ص١٧٦؛ د.ابراهيم خليل احمد وخليل علي مراد،المصدر السابق،ص٢٢٦؛ د.رياضالصمد،المصدر السابق،ص٣٤.

٥٥- الموسوعة التاريخية المصورة، ج٥،المصدر السابق،ص١٧٣,١٧٢.

٥٦- د.فاروق عثمان اباضة،المصدر السابق،ص٥٦٢ ؛

Bremonds,E:.op.cit.,p-78 ؛ الموسوعة التاريخية المصورة، ج٥،المصدر السابق،ص١٧٣.

٥٧- الموسوعة التاريخية المصورة، ج٥،المصدرنفسه،ص١٧٤؛ د.ابراهيم خليل احمد وخليل علي مراد،المصدر السابق،ص٢٢٧.

٥٨- حنا عزو بهنان،المصدر السابق.ص١١؛محمد بديع شريف وآخرون،دراسات في تاريخ النهضة العربية الحديثة،مطبعة الرسالة،القاهرة،لا.ت،ص٢٧٠.

٥٩-د.جاد طه،سياسة بريطانيا في جنوب اليمن،دار الفكر العربي،القاهرة،١٩٦٦،ص٣٣٩؛ Bremonds,E-op.cit.,78.

٦٠-محمد سيد كيلاني،السلطان حسين كامل،ط١،دار القومية العربية،مصر،١٩٦٣،ص٤٦,٤٧ ؛د.جادطه،المصدر السابق،ص٣٣٩.

٦١- Bremonds,E-opcit,78-79؛احمد عبد الرحيم مصطفى،المصدر السابق،ص٢٨٧؛ د.ابراهيم خليل احمد وخليل علي مراد،المصدر السابق،ص٢٢٧؛د.رياض الصمد،المصدر السابق،ص٣٥.

٦٢-محمد عبد الرحمن حسين،نضال شعب مصر،١٩٥٦,١٧٩٨،القاهرة،١٩٧٠،ص٨١.

٦٣-عبد الرحمن الرافعي بك،مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال،تاريخ مصر القومي،١٨٩٢,١٨٨٢،ط٢،مكتبة النهضة،القاهرة،١٩٤٨،ص٩-١٠؛راشد البراوي،مجموعة الوثائق السياسية،المركز الدولي لمصر والسودان وقناة السويس،القاهرة،١٩٥٢،ص١١٧.

٦٤- Wood word,E,L,and Butler rohan,Documents on British foreign policy,1919-1939,London,1952,p-47؛جورج انطونيوس،يقضةالعرب،تاريخ حركة العرب القومية،ترجمةد.ناصر الدين الاسد واحسان عباس،دار العلم للملايين،بيروت،١٩٦٢،ص٢٥٣؛محمد عزت دروزة،الوحدة العربية،ط١،دار الكشاف،القاهرة، ١٩٥٧،ص٢١٠.

٦٥-د.علي ابراهيم عبده،المصدر السابق،ص٥٨؛شكري محمود نديم،المصدر السابق،ص١٦؛محمد محمود السروجي،سياسة بريطانيا في الجزيرة العربية اثناء الحرب العالمية الاولى، مصر،١٩٨٠،ص٤٩٩.

٦٦-د.فاروق عثمان اباضة،المصدر السابق،ص٥٦٣,٥٦٢؛د.شوقي الجمل،تاريخ سودان وادي النيل،ج٣،الانجلو المصرية،١٩٧٧،ص٢٢٣؛د.محمد انيس،الدولة العثمانية والشرق العربي،١٥١٤,١٩١٤،الانجلو المصرية،القاهرة،لا.ت،ص٢٧٣؛د.رياض الصمد،المصدر السابق،ص٢٧٣.

٦٧-د.رياضالصمد،المصدر السابق،ص٣٢.

٦٨- جورج لنشوفسكي،المصدر السابق،ص٦٥.Bremonds,E-opcit,78

٦٩- Jacobe,lieutenant colonel Harold F.kings of Arabia,London mills and boon,1923,p-154؛ د.فاروق عثمان اباضة، المصدر السابق،ص٥٦٢؛ د.رياض الصمد، المصدر السابق،ص٣٣.

٧٠- علي فؤاد بك، الموسوعة التاريخية المصورة، ج٦، ص٢٠٣؛ جورج لنشوفسكي، المصدر السابق،ص٤٩؛Jacobe,op.cit,p-154-155

٧١-علي فؤاد بك، الموسوعة التاريخية المصورة، ج٦، ص٢٠٤.

٧٢-محمد دروزة، تركياالحديثة، مطبعة الكشاف، بيروت، ١٩٤٦، ص٢١؛ بيرر نوفون، المصدر السابق،ص١٣٨-١٣٩؛حنا عزو بهنان، المصدر السابق،ص٥٩.